

23425 - آثار المعصية على صاحبها

السؤال

حججت عن نفسي وبعد الحج بأشهر لم أر علامات القبول من الإقبال على الطاعات بل عملت الكثير من المعاصي وفي العام المنصرم عقدت العزم على الحج عن أمي المتوفاة، سألت أحد المشايخ فأفتاني بالحج عنها كما نويت والكثرة من الاستغفار والتضرع فحججت عن أمي في إحدى الحملات وفي طواف الوداع كان الزحام شديدا فطفنا شوطا وجزءا من شوط ثم صعدنا إلى السطح، لشدة الزحام لم نعلم الموقع الذي وقفنا عنده بالضبط في الأسفل ولكن اجتهدنا في بداية الطواف من السطح أن يكون من الموضع الذي انتهينا عنه أسفل وطفنا حتى أتممنا الطواف.

بعد حجي الأخير إن اتجهت للمعاصي - وقد وقعت في كثير منها - شعرت بقسوة وضيق صدر وإن اتجهت إلى الطاعات أحسست بلذة وأحمل عاطفة صادقة ومتأنة نحو حال الإسلام وأهله في هذا الزمن.. وأنا قلق بشأن الحججين وشأن الطواف. أفتوني مأجورين.

ملخص الإجابة

من آثار المعصية على صاحبها: 1- حرمان العلم، 2- حرمان الرزق، 3- وحشة تحصل للعاصي بينه وبين ربه، 4- تعسير أموره عليه، 5- أن العاصي يجد ظلمة في قلبه، 6- حرمان الطاعة، 7- أن المعاصي تزرع أمثالها، وينتشر بعضها بعضاً، 8- أن المعاصي تضعف القلب عن إرادته، 9- أنه ينسليخ من القلب استقباح المعصية فتصير له عادة، 10- أن الذنب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها، فكان من الغافلين.

الإجابة المفصلة

Table Of Contents

- آثار المعصية على صاحبها
- هل يمكن لأحد الجزم بقبول الطاعات؟
- حكم الموالاة في الطواف

آثار المعصية على صاحبها

ننصحك أيها السائل بالبعد عن المعاصي صغيرها وكبیرها والحد من كل الحذر فإن للمعصية شؤما على صاحبها، فإليك بعض آثارها من كلام ابن القيم رحمه الله:

1. "حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطْفَى ذلك النور. ولما جلس الشافعى بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تُطْفَى بظلمة المعصية.
2. حرمان الرزق ففي مسند الإمام أحمد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيّبه»** رواه ابن ماجه (4022) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.
3. وحشة تحصل للعاشي بينه وبين ربه، وبينه وبين الناس. قال بعض السلف: إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي.
4. تعسیر أمره عليه، فلا يتوجه لأمر إلا ويجد مغلقاً دونه أو متعرضاً عليه، وهذا كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسراً.
5. أن العاشي يجد ظلمة في قلبه، يحس بها كما يحس بظلمة الليل، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره، فإن الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً يراه كل أحد. قال عبد الله بن عباس: "إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق".
6. حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أن يُصدّ عن طاعة تكون بده، وينقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة ثم رابعة وهلم جرا، فينقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مرضًا طويلاً منعه من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان.
7. أن العاشي تزرع أمثالها، وينجذب ببعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها.
8. أن العاشي تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية... فيأتي من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية، مُصرٌّ عليها، عازم على مواتعها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.
9. أنه ينسلخ من القلب استقباح المعصية فتصير له عادة، لا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه. وهذا عند أرباب الفسق هو غاية التهتك وتمام اللذة، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويُحَدِّث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان، عملت كذا. وهذا الضرب من الناس لا يعافون، ويُسْدِّدُ عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«كُلُّ أُمْتي معاِفٌ إِلَّا المُجَاهِرُونَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ: أَنْ يَسْتَرَ اللَّهُ الْعَبْدُ ثُمَّ يُصْبِحَ يُفْضِحُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: يَا فَلَانَ عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا... كَذَا وَكَذَا، فِيهِتَكْ نَفْسَهُ وَقَدْ بَاتْ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ»** رواه البخاري (5949) ومسلم (2744).
10. أن الذنوب إذا تكاثرت طُبِّعَ على قلب صاحبها، فكان من الغافلين. كما قال بعض السلف في قوله تعالى: **«كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قَلْوَبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»**. قال: هو الذنب بعد الذنب. وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير رائناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلأً وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى وال بصيرة انتكس فصار أعلى أسله، فحينئذ يتولاه الشيطان ويسوقه حيث أراد.

ولمزيد الفائدة ينظر الجواب رقم (111911) (239089).

هل يمكن لأحد الجزم بقبول الطاعات؟

قولك إنك "حججت ولم تر علامات القبول، بل ازدلت من المعاشي" يجاب عليه: بأن القبول إنما هو من الله، ولا يستطيع أحد أن يجزم لك بأن عملك قد قبل أم لا؟

فالمؤمن يعمل الأعمال الصالحة وهو لا يعلم هل قبل الله منه أم لا؟

حتى قال ابن عمر لو علمت بأن الله قبل مني حسنة واحدة لكان الموت أحب غائب إلي؛ لأن الله يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين." والإنسان مطلوب منه أن يُكثر من العمل الصالح، وأن يجتهد في العمل بحيث يكون موافقاً لأمر الله ورسوله، ويكون بذلك قد أبرا ذمته، ثم يسأل الله القبول.

فأنت أية السائل إذا كان حجك صحيحاً خالياً من المحظورات فلا يلزمك إعادته، وأما وقوعك في المعاشي فليس له تعلق بصحة الحج من عدمه، ولكنك محاسب عليها، فعليك بالمبادرة بالتوبة منها قبل حلول الأجل.

حكم الموالاة في الطواف

قولك بأنك طفت ثم صعدت إلى السطح لشدة الزحام.

هذه مسألة [الموالاة في الطواف](#)، وقد سُئلت اللجنة الدائمة عن سؤالٍ مشابهٍ لمسألتك فأجابت بأنه لا بأس من قطع الطواف وإكماله في الدور الأعلى. انظر فتاوى اللجنة الدائمة (231، 232، 11/230).

وأما بداية الطواف فيكون من الموضع الذي انتهيت إليه، وبالنسبة لاجتهادك في تحديد الموضع فإنه إذا تعذر اليقين عمل الإنسان بغلبة الظن لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيمن شَكَ فتَرَدَّ هُل صَلِي ثَلَاثَةَ أَمْ أَرْبَعَةَ قَالَ: «فَلَيَتَحَرَّ الصَّوَابُ، ثُمَّ لَيَتَمَّ عَلَيْهِ» - أي يبني على التحرى - «ثُمَّ لَيَسْلَمُ ثُمَّ لِيَسْجُدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ يُسْلِمَ». رواه البخاري (401) ومسلم (572)، انظر الشرح الممتع (3/461).

وبناءً عليه فإكمال الطواف من السطح واجتهادك في البداية من الموضع الذي قطعت طوافك منه لا شيء عليك فيه إن شاء الله.

ولمزيد الفائدة، ينظر الجواب رقم (253569).

والله أعلم.